

أولاً في بلاد انكاب ومنتاه عند الاسكندرية بناء على قياس مثلثات الزوايا . ولهذا القياس مزية وهو ان الحظ الهاجري الميس يتد نظامياً على جهتي خط الاستواء .
 وخلاصة الكلام ان الاقيسة التعددة التي تولى صنعها علماء القرن الثامن عشر أدت بهم الى بيان كون الارض ليست كرة تامة . وفي القسم الاول من القرن التاسع عشر ثبت لديهم ان الارض كاهليلج مغلطح . واليوم يصرفون عنايتهم الى ضبط الاقيسة السابقة وتصريف صورة الكرة وما يطرأ عليها من التجسّات والتثنيات في كل قسم من اقسام المعمور . وفيه المجد في كل حال

ما فقد في لبنان من قديم الحيوان

نظر الاب هنري لامنس اليسوعي مدرس المنزانية الشرقية في المكتب الشرقي (تتمة)

ان وجود حيوانات كبيرة كالاسد والفيل في لبنان كان من شأنه ان يجعل لغاباته هيئة غير مألوفة ولا مأتوسة ومن ثم تفهم لماذا كان يشل الرعب عند قطعها قدماء المصريين الذين كان يسوقهم الدهر او طلب الارتزاق الى اللور بها . فكان الرجل من وادي النيل أليف الأماكن المنبسطة والناظر المنكشمة في بلاده اذا قصد الاقطار الشامية يوصي بآله لاهليه لحرقه من السباع (١) فلم تكن سورية في عينه سوى غابة سوداء اجتمعت بها افواجا وزرافات اصناف الحيوان الضارية كالاسد والتمر والفيل وشباهاها

ولم يكن الشهد في مياه الانهر والبحيرات باضف حركة منها في الصحراء والحيال فكان يلعب فيها فرس الماء . ويعتد التمساح وقد وصف ذلك في سفر ايوب وصفاً بديهاً فانصاً في الشعر بالنأ في التأثير فتها بهرت ولويانان في نص المؤلف الالهي (٢)
 وقد ارتأى قوم من مفسري الكتاب المقدس ان واضع سفر ايوب اخذ معلوماته عن مصادر مصرية في وصف هذه الحيوانات المشتركة العيشة بين البر والماء . ولما نحن

(١) راجع Maspéro: Histoire ancienne, II, 17

(٢) ايوب سفر (ف ٤٠ و ٤٢)

فتعدنا وجه اسهل حل هذه المسألة فلم يكن من حاجة لأيوب ان يتعد عن سوربة لوصفها اذ كانت هذه الحيوانات موجودة فيها منذ ذلك الحين البعيد المهد واعلم ان وادي الاردن من غريب ما شهد على سطح انكزة يوضع الطيبي وتركيبه الجغرافي بحيث يتصل للمين انخاض يبلغ عمقه عند منتهاه (عند بحر لوط) زهاء ٤٠٠ متر دون البحر المتوسط ففي هذا النور الذي لا مثيل له في الدنيا يسود حر شديد ابتداءه في اوائل ايار فيتراوح وقتئذ ميزان الحرارة في النهار بين ٤٠ و ٥٠ درجة من ميزان ستيفراد وينشأ في تربة ذلك الوادي الحارة نبات اشبه بنبات خط الاستواء في افريقية لا يشبه نبات سوربة وفلسطين بشي

فعل شواطئ بحيرة الحولة تنمو طاقات البردي المخترا حتى يومنا والبردي نبات كان قديماً زينة مصر ومجدما ولا يرى منه الآن في كل وادي النيل اللهم الا في بلاد السودان الجنوبية واي عجب اذا وجدنا بارض تشبه ارض افريقية بتربتها الحارة ونباتها الخاص ما نجد من الحيوان في قارة افريقية . وهذا ما كان بلا ريب في عهد ايوب فتشغيل عهدئذ بحيرة الحولة تحرك مياهها التاميح والافراس النهرية وهي ترح بين غياض البردي . فايوب حسب التقليد قطن حوران وسكن ناحية جولان فلا غرو اذا ما شاهد من اعالي شرفات هذا النجد المثل على الحولة والاردن حيوانات البر والبحر العظيمة ووقف على احوالها دون ان ينحدر الى مصر . على انها في الوقت الحاضر خلت من فرس الماء . ولم يزل فيها التساح وهاك البرهان :

*

ذكر بطليموس وراين . واسطرابون مدينة بجانب انكرمل اسمها مدينة التساح (Crocodilopolis) (١) وقد اتى بلين (٢) فوق ذلك على ذكر نهر بهذا الاسم في تلك الحدود وهذا النهر المسمى الماء الحامد الحركة يُجنُّ به عموماً انه نهر الزرقاء الجاور قيصارية شمالي هذه المدينة وهناك يتكوّن منه مستنقع دائره نحو الفرسخ ويدهى حتى اليوم باسم يعبر عن حقيقة حاله اي مستنقع التساح وعلى حافته تنمو بكثرة غياض

(١) Strabon: Geogr. XVI راجع

(٢) Plin: Hist. natur. V, XVII (٢)

البردي وغيره من الشجيرات فاسم المدينة واسم النهر يسوغان لنا ان نحكم بوجود تلك
الرحايات فيها في غير الزمن على الاقل فضلاً عما لدينا من الشهادات الجمة قيصة
وحديثة تبين نفس الشيء باستفاضة لا تبقي في العقل شكاً . . .
ففي الجبل الحادي عشر ذكر الجوّالة الفارسي نصري خسرو جنوبي انكرمل
وادي المسيح (١٠) وشهد على مثل ذلك في الجبلين الثالث عشر والرابع عشر مارين
سانتو وباك دي فيتري . فالثاني يقول : التمساح موجود في نهر قيصارية وهو يقتس
الانسان والحوان وطوله في الغالب قدر عشرين ذراعاً (٢) ولما تزل ويكاردوس قلب
الاسد ملك انكلترة عند نهر الزرقاء اقتس التمساح اثنين من جنوده (٣) ويقول برخارد
الصهيوني المتني الى رهبة مار عبد الاحد والذي تجول في سورية في اواخر الجبل
الثالث عشر : ان المسيح كثيرة في بحيرة قيصارية وانّه لم يفلت هو من شرها الا باعجوبة
وقد قال قوله من بعده كثير غيره من زوّار الارض المقدسة غير اننا لا نورد
اسماءهم لانهم رواة يروون ما سمعوا وليسوا شهود عين يحكون ما نظروا اللهم الا
يوكوك الانكليزي سنة ١٧٧٣

*

هذه شواهد الماضي واما في الحاضر فلدينا اصرح الادلة واصدق الشهود عن وجود
التمساح في الزرقاء . بل وفي غيره من مياه فلسطين
فالاحاديث المنقولة والاسانيد المروية عن نهر الزرقاء . يبلغ عددها الى ما لا يحكاد
ينتهي واولهم المرسل الاميركاني تومسون الذي كتب سنة ١٨٥٧ (١) ثم العلامة
پياروتّي (Pierotti) مهندس ولاية القدس وقد عثر في سيره نحو منبع الزرقاء . على
بقايا سلخ تمساح اخضا بقايا الراس (٥) وفي سنة ١٨٧٧ قبض الالمانيون في حيفا بالوضع

(١) راجع الترجمة الفرنسية لشيفر (Schefer)

(٢) راجع Gesta Dei per Francos (ص ١١٠-٢)

(٣) راجع Histoire de la guerre sainte (éd. de Paris) (ص ٥٢٦)

(٤) راجع The Land and the Book (ص ٤٩٧) . ثم ZDPV, XIII, 340

(٥) راجع مقالة التماسيح في فلسطين للاب دي سنت اتيان (de St Aignan) ص ١٠

نفسه على انثى التماسح (١) وقد تعدد مثل هذه الاكتشافات في السنين الحس والمشرين الاخيرة . وفي سنة ١٨٩٣ وجدوا فيه هيكل تماسح وست يضات فحشي الميكل بالتبن وأرسل الى القدس

واماً البيض فنقت واحدتها وأرسلت واحدة الى العلامة صونيل ميريل تنصل اميركة في اورشليم وبث بالأخر الى باريس (٢) فهذه الاكتشافات للمتدة تدل على ان التماسح يعيش ويتناسل في بطاح نهر الزرقا . وغدراته الأانه ليس بكثير التناسل لأن سطح الارض الذي تفره الاغدره لا يبلغ عشرة هكتارات

وهذه الزمافات موجودة في غير لماكن من فلسطين . قبي السهل الكثير الرمل المدقع ذي انكشان المتعدة المتدين حيفا وعكاً مصب نهر المقطع المعروف عند الاقدمين باسم قيسون فهذا النهر تنزر مياهه عند آخر حدوده على مسافة ثلاثة الاف متر عن البحر لانه لا يصادف هناك انحداراً كافياً وتنصب في وجهه الرمال المتكررة عند مصبه فتخول الحواجز بينه وبين البحر فيستقم السهل وتنع مستقماته ونبت فيها النباتات وتسمى فتشبهك سيها ففي سنة ١٨٦٩ ارتاد الجواله الانكليزي ماك كريكور على زورق غدران نهر المقطع ومجراه الاوطى فطلع عليه بغته من الماء تماسح وكاد قلب الزورق فاذهله ما اتفق له مما لم يكن في الحسبان فرقاً بقاربه الى الشاطئ فاجسر عليه آثار تاسيح متعدة . وقد التقى مرة ثانية في تلك النواحي بهذا الحيوان المائل الذي لم يعد من سيلل للارتياح بوجوده في نهر المقطع (٣) وحتى اليوم لم يكشفوا على شيء منه في بحيرة الحولة ولا في بحيرة طبرية وفي حكمان انه كان فيها قديماً وزجج وجوده في نهر الشريعة اليوم

ومما يحملنا على هذا الترجيح ما جاء في رحل الزوار الاقدمين من القصص والاخبار عن نكبات بعض السواح ممن ذهب بهم التماسح عند استعماهم في الاردن وبعض حوادث اقرب عهداً تريدنا في الامر صدقاً والى اليوم ليس من حادث او

(١) اطلب دليل يذكر الطبعة الرابعة الالمانية (ص ٢٦٥) ولورته (Syrie d'aujourd'hui)

(ص ١٧٤)

(٢) راجع المجلة الفلسطينية الانكليزية PEF سنة ١٨٩٣ (ص ١٨٢ و ٢٦٠)

(٣) راجع كتاب « ماك كريكور » للمنون (The Rob Roy on the Jordan, 398)

اكتشاف في الاردن كما في الرقاع. والمتطع مما يتره الحقيقة عن كل ريب وذلك متأثر
عن عرسب الاردن في مجراه الاسفل (١) ولعلّ التماسح موجود في النهر الاخضر
جنوبي قيصارية كما وفي غيره من مياه تلك الناحية. وفي رأي العلامة لورته الذي
فحص تماشاً محشراً (مصبراً) ان تماسح فلسطين يختلف نوعاً عن تماسح النيل (٢) ومن
المقرر الثابت ان تماسيح فلسطين اصفر جداً ولا يزيد طولها على متر ونصف ولا بأس
منها الأعلى المواشي فتفتك بها احياناً

*

وأما الصبب في هذا بيان طريق وصول هذه الزحافات الى الاقطار الشامية .
أهي اصلية ووطنية ام نقلت من خارج . فالرأي الأول قريب من الصحة على ما نرى
وهو رأي العلامة لورته الذي ينكر كون اصلها من مصر . فالمواضع التي ثبت بها وجود
هذا الحيوان في فلسطين تشبه مصر بنوع نباتها فان كانت الواردات واحوال الجو والمرا .
واحدة في القطرين فلم لا يتشابهان ايضاً بنوع الحيوان . فلا شيء . اذن يحول دون
وجود التماسح بل كل شيء يدعو اليه . على ان بعض العلماء يستصوبون القول بنقل هذا
الحيوان الى فلسطين ورأيهم ان المصريين نقلوه اليها . ونحن نعلم ان فلسطين كانت
جبلًا طويلًا في حكم الفراغة فلا يبعد ان يكون من اقام في هذه البلاد من
المصريين قد احبوا جوار هذا الحيوان الذي هو من معبوداتهم فاستصحبوه
ومأ نعلمه ايضاً ان رعميس الثالث بحث بالتيسح وافراس الماء . هدية الى تغلات
فلاسر ملك لشور (٣) ورُبما وصل التماسح الى فلسطين لحادث نظير هذا ومهما يكن
من امر هذه التأويلات والايضاحات فقد تقرر لدينا وجود هذه الزحافات في كثير من
مياه فلسطين الشمالية وكل شيء يحملنا على التسليم بانها كانت اوفر عددًا في الازمنة
المرققة في التدم وسواها كانت اصلية ام منقولة فقد توالت وانتشرت على وجه القطر
ولا يصعب علينا القول انه في عهد ما كان القليل يجوب اجراج لبنان كان التماسح
يبث في مياه الجليل ومستقعاته كالليطاني القريب من بحيرة الحولة والاردن وقد كان بلا

(١) راجع مقالة الاب دي سنت ايان السابق ذكرها

(٢) راجع كتاب الدكتور لورته (Syrie d'aujourd'hui)

(٣) راجع سبيرو: تاريخ الشرق (الطبعة المتصرة . ص ٢٥١)

ويب وافر العدد فيها قديماً على عهد ايوب البار. انا غرّ العمران واتساع الزراعة وامتداد المساكن اصبحت بعد ذلك ضربة قاضية على وجودها في تلك النواحي النديّة. ولم يكن للفينيقيين حاجة في عبادتها كالصريين ولا بُدّ انهم بذلوا الجهود في استئصال شأفة تلك الحيرة المؤذية او في حملها على المهاجرة الى جهات اعرق في الجنوب حيث نجد منها بقايا في أيامنا

فوائد صرفية ونحوية

لمضرة الاب دون يوحنا مرنا المرسل الرسولي اللاتيني وقانوني القبر المقدس في القدس الشريف

١ شئ مصدر شت

قال صاحب التاج في ترجمة شت: «وقوم شئ مغترقون وأشياء شئ. قال شيخنا قبيل انه جمع شيت كترضى ومريض (وه جزم الزمخشري في الكشف) وقيل منرد». والأصح عندي انه مصدر مؤنث على وزن فُعَلَى كَرَفِي وشكوى بمعنى الشتر والشنات والشيت. وإن لم تذكره المعاجم بين مصادر شت. والدليل على ذلك انه يُستعمل بلفظ واحد مع المفرد والمثنى والجمع كآثر المصادر الواقعة وصفاً نحو قولك رجلٌ عدلٌ ورجلان عدلٌ ورجالٌ عدلٌ. فيقال في المفرد: «وقعوا في أمر شتٍ وشئ» كما نقله صاحب اللسان. «وان سَعَيْكُمْ لَشَيْءٍ» ومنه قول تأبط شراً: قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لَأَسْمِهِ بِصِيْبِهِ كَثِيرُ النَّوَى شَيْءُ النَّوَى وَالْمَالِكِ

قال التبريزي في شرح ديوان الحماسة: «ويريد بقوله «شئ» المتفوق. ولا حاجة الى القول ان الشاعر اراد شتآن النوى فحذف النون للضرورة» كما زعم بعض المصريين

ويقال في الجمع: «قوم شئ. وقلوبهم شئ. ويصدرون مصادر شئ»
ويقال ايضاً في المثنى: «ليست (اي لفظة لن) من كلمتين شئ» كما قاله إمام النحاة سيويه في كتابه (١). ومن ذلك قول طهسان بن عمرو انكلاي قله ابن منظور وصاحب التاج في مادة غرب: